الحديث الثالث مثل ما جاء به النبي ﷺ من الهدى والعلم

مثل ما جاء به النبي ﷺ من الهدى والعلم

٣. عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: « مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ »

رواه البخاريُّ (٧) كِتَابُ العِلْمِ/ بَابُ فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ، ومسلم (٢٢٨) كتاب الْفَضَائِلِ / بَابُ بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ.

أولًا: مقدمات دراسة الحديث

أولًا: مقدمات الحديث

١. التمهيد:

أخي طالب العلم، الناس متفاوتون فيما بينهم في قبول الهدى والرشاد، وفي طلب العلم النافع، وهذا التفاوت جعلهم درجاتٍ وأنواعًا، وفي هذا الحديث يضرب لنا النبي ﷺ مثالًا يُبين من خلاله تفاوت الناس وأنواعهم في الإقبال على الهدى والعلم، ويُرشدهم إلى أفضل هذه الأنواع وهو العالم المتفقه في دين الله تعالى، العامل بعلمه، والمعلم لغيره، حتى تشمر عن ساعديك وتكون منهم، وفق ما بينه لنا رسول الله ﷺ في هذا الحديث.

٢. أهداف دراسة الحديث:

أخي الطالب يُتوقع منك بعد دراسة هذا الحديث أن تكون قادرًا بعد عون الله تعالى على أن:

١. تُترجم لراوي الحديث.
٢. تشرح الحديث الشريف.
٣. تبين غريب الحديث.
٤. توضح المثل الذي ضربه النبي ﷺ لأثر الوحي.
٥. تميز بين أصناف الناس في قبولهم للوحي.
٦. تبين فضل العمل بالعلم وتعليمه.
٧. تضرب أمثلة لمن قبل هدى الله ورضي به.
٨. تستدل على سوء عاقبة من رد هدي الله تعالى الذي جاءه.
٩. تُبيِّن ما يُرشد إليه الحديث.
١٠. تُقبل على الهدى والنور الذي جاء به رسول الله ﷺ.

٣. موضوعات الحديث:

أخي الطالب، تضمن الحديث الشريف الذي ستدرسه بعون الله تعالى عددًا من الموضوعات المهمة، ومن أبرزها ما يلي:

موقف الناس من الوحي والهدى
فضل العلم والعمل به.

ثانيًا: رحلة تعلم الحديث

أخي الطالب، الشكل التالي يرشدك إلى العناصر الرئيسة المكوِّنة لتعلم هذا الحديث:

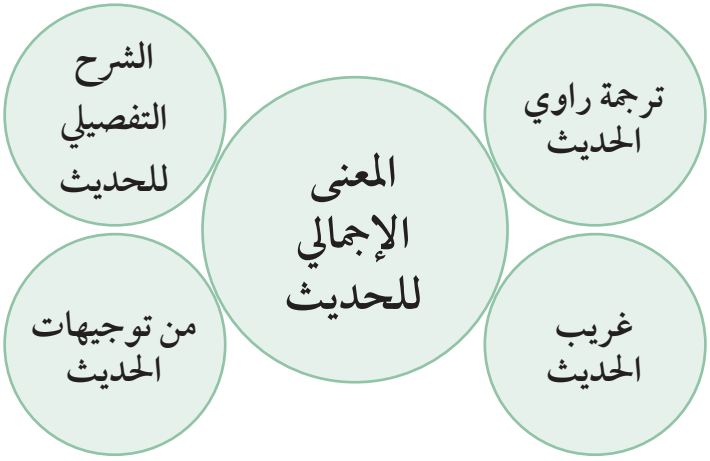

١. ترجمة راوي الحديث:

هو: أبو موسى، عبدُ الله بن قَيسِ بنِ سليمِ بنِ حُضَّارِ بنِ حربِ بنِ عامرِ بنِ الأشعرِ، الأشعريُّ، الإمام الكبير، الفقيه، صاحب رسول الله ﷺ، ذو الهِجرتَين: هجرة الحبشة والمدينة، من قراء الصحابة، وكان حسن التلاوة بالقرآن قال عنه النبي ﷺ لقد أُعطِيَ مِن مزامير آل داودَ، تولى البصرة في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما، ثم تولى الكوفة، وتُوفِّي سنةَ: (٥٠هـ) (٤٧).

نشاط (١) ابحث ولخص

أبو موسى الأشعري ﷺ أحد الصحابة الكرام الذين لهم منزلة في الإسلام، وممن مدحهم النبي ﷺ وأثنى عليهم، والمطلوب منك أخي الطالب أن تسعى لزيادة معرفتك بهذا الصحابي الجليل؛ من خلال مطالعتك لما تيسر من كتب التراجم، ثم لخص أهم ما توصلت إليه، فيما يلي:

- منزلته في الإسلام.
- روايته للحديث الشريف.
- مشاركاته في الفتوحات الإسلامية.

(٤٧) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ١٧٤٩)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٦٢)، «أسد الغابة» لابن الأثير (٥/ ٣٠٦).

٢. لغويات الحديث:

عبارة الحديث	اللغويات
الغَيث	المطرُ.
نَقِية	طيِّبةٌ.
الكلأ	نباتُ الأرض اليابس والرَّطْب.
العُشْب	نباتُ الأرض الرَّطْب.
أجادبُ	الأرض الصُّلبة غير الخِصبة التي تُمسِكُ الماء فلا تتشرَّبه سريعًا.
قِيعان	جمع القاع، وهي الأرض المستوية الملْساءُ التي لا تُنبت.
سَقَوْا	سَقَى وَأَسْقَى بِمَعْنًى، لُغتانِ، وقيل: سَقَاهُ: نَاوَلَهُ لِيَشْرَبَ، وَأَسْقَاهُ: جَعَلَ له سَقْيًا.
فَقُه	صار فقيهًا، والفقهُ هو الفَهْم.
«مَن لم يرفع بذلك رأسًا»	تكبَّرَ ولم يَقبل الدين، يقال: لم يرفَعْ فلان رأسه بهذا؛ أي: لم يلتفتْ إليه من غاية تكبُّره".

٣. المعنى الإجماليُّ للحديث:

يروي أبو موسى الأشعريُّ ﷺ **عن النبيِّ** ﷺ **أنه قال: «مَثَلُ ما بعَثَني اللهُ به من الهُدى والعِلم كمَثَل الغَيث الكثيرِ أصاب أرضًا»**: يضرب النبيُّ ﷺ مَثَلًا للهُدى والعلم الذي أرسله اللهُ به بالمطر الكثير الذي أصاب أرضًا، وهذه الأرضُ ثلاثة أقسام:

- **الأول منها**: «فكان منها نَقِيَّةٌ، قبِلَت الماءَ، فأنبتَتِ الكلأَ والعُشبَ الكثير» فكانت أرضًا نقيةً، شَرِبت الماء فأنبتت نباتًا كثيرًا.
- **القسم الثاني**: «وكانت منها أجادبُ، أمسكت الماءَ، فنفعَ اللهُ بها الناسَ، فشَربوا وسَقَوْا وزرعوا» فكانت أرضًا جَدْباءَ غيرَ خِصبة، لم تشرب الماء؛ ولكنها أمسكته، فانتفع الناس بالماء الذي لم تنتفع هي به ولم تَرْوَ به، فشربوا وسَقَوا وزرعوا أراضيَهم.
- **القسم الثالث**: «وأصابت منها طائفةٌ أخرى، إنما هي قِيعانٌ لا تُمسِك ماءً ولا تُنبتُ كلأً» وهذه الأرض ملساءُ لا تُمسك ماء فينتفع به الناس، ولا تَرْوى هي فتُنبت، فلا تنتفع بالماء ولا تنفع الناس.

قال ﷺ: «**فذلك مثَلُ مَن فَقُه في دِين الله، ونفَعه ما بعَثَني الله به فعَلِم وعَلَّم**» وذلك مَثَلُ القسم الأول، ويدخل فيه القسم الثاني، فهما ينفعان الناس. «**ومَثَلُ مَن لم يرفَعْ بذلك رأسًا، ولم يَقبَلْ هُدى الله الذي أُرسِلْتُ به**» وذلك مَثَلُ القسم الثالث الذي لم يَقبَل الهدى ولم ينفع الناس.

نشاط (٢) فكر وحلل ثم أجب

أخي طالب العلم، اقرأ المعنى الإجمالي للحديث ثم املأ الجدول التالي بما هو مطلوب:

أقسام الناس في قبول الهدى وطلب العلم	مثله ودليله من نص الحديث
القسم الأول: من انتفع بالهدى والعلم في إصلاح نفسه، ونفع وتعليم غيره.	«فكان منها نَقِيَّةٌ، قبِلَت الماءَ، فأنبتَت الكلأَ والعُشبَ الكثير».
القسم الثاني: من حفظ العلم والهدى، وهو قليل العمل والانتفاع به، ولكنه يحمله ويعلمه للناس.	.....
القسم الثالث: من ليس عنده علم ولا هدى فلم ينفع نفسه ولم يفد غيره.	.....

٤. الشرح المفصَّل للحديث:

- خلَق الله تعالى الناس متفاوتِينَ في العقول والأفهام، وفي الطِّباع والأخلاق، وفي القُدرة على العطاء، ويظهر هذا التفاوتُ في تعامل كلِّ إنسان مع هدايات الله عز وجل التي جاءته على لسان المرسَلين، وآياته سبحانه التي بثَّها في الآفاق.
- وقد كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناس تربيةً وتعليمًا وقُدرةً على الإيضاح والبيان، وكان أحرصَ الناس على هداية جميع البشر والأخذ بأيديهم إلى صلاح العاجل والآجل، ومِن ثَمَّ اتَّخَذ ﷺ جميعَ الوسائل المتاحة في التربية والتعليم والإرشاد؛ ليقوم بتعليم دين الله تعالى الذي جاء به إلى جميع الناس على تنوُّعهم واختلافهم.

- وفي هذا الحديث يَضربُ النبي ﷺ مثالًا بليغًا يُصوِّر فيه ما جاء به من عند الله تعالى من الهدى، والرشاد، والعلم النافع، وموقف الناس منه؛ فيشبِّهُ ﷺ ما بُعث به من «الهدى» وهو الدلالات الموصِّلة إلى الغاية[٤٨]، وهي معرفةُ الله عزَّ وجلَّ، والقيامُ له بحقِّ العُبودية، و«العلم» وهو علمُ الشريعة المستمَدُّ من الوحي كتابًا وسُنَّةً، يُشبِّههما ﷺ بالمطر الغزير الذي يأتي الناس حالَ حاجتهم إليه، وقد عبَّر ﷺ عن المطر بلفظ الغيث؛ ليبيِّن حاجةَ الناس إليه، وعدم استغنائهم عنه، واضطرارهم إليه، وهذا هو حالُ الناس مع الغَيث؛ قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]. «وقد كان الناس قبل المبعَث قد امتُحِنوا بموت القلوب، ونُضوب العلم حتى أصابهم الله برحمةٍ من عنده»[٤٩]، ووجه الشَّبَه بين الهدى والعلم الذي جاء به النبيُّ ﷺ، وبينَ الغَيث النازل من السماء: أن الغيثَ به حياةُ البلد الميت، وكذا العلمُ به حياةُ القلب الميِّت[٥٠].
- وفي قوله ﷺ: «مَثَلُ ما بعثني اللهُ به من الهدى والعلم» بيانُ أن كل ما جاء به النبيُّ ﷺ، ونطق به إنما هو وحيٌ من الله عزَّ وجلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣،٤].

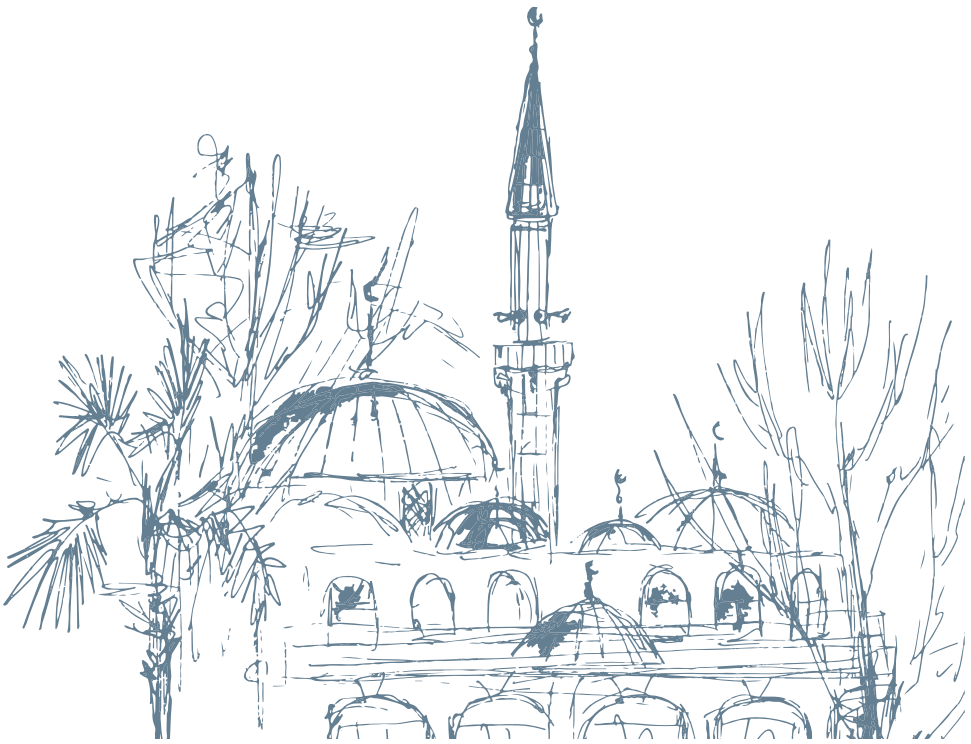

(٤٨) انظر: "فتح الباري شرح صحيح البخاري" لابن حجر العسقلاني (١ / ١٧٦)

(٤٩) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" لبدر الدين العيني (٢ / ٨٠).

(٥٠) انظر:"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"للطِيبي (٢ / ٦١٦).

نشاط (٣) ابحث وأجب

ضرب الأمثال الحسية يقرِّب المعانيَ العقلية، وهو وسيلة للتعلم وبيان الغامض من الأمور قياسًا على الواضح منها، ارجع إلى ما حفظت من القرآن واستخرج ثلاثة من الأمثال القرآنية مبينًا المغزى المراد منها.

نشاط (٤) فكر وتأمل واستنتج وأجب:

السؤال	الجواب
بماذا تفسر قول النبي ﷺ «ما بعَثَني اللهُ به» ولم يقل: (ما جئت به)؟	
وما دلالة ذلك على صحة نبوة النبي ﷺ؟	
وما العبارة التي تؤكد هذه الدلالة في نهاية الحديث؟	
اربط بين قوله ﷺ: «من الهُدى والعِلم» وبين قوله ﷺ في حديث آخر: «إن الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا؛ إنما ورَّثوا العلمَ» ().	
ما دور الأنبياء ومهمتهم الرئيسية في هذه الحياة كما فهمت من خلال هذا الربط؟	

- قوله ﷺ: «فكان منها نَقِيَّةٌ، قبِلَت الماءَ، فأنبتَت الكلأَ والعُشبَ الكثير»، يُشبِّهُ ﷺ المخاطَبين بهذا الوحي بأنواعٍ مختلفة من الأرض، أوَّلها: الأرضُ «النقية»، وهي الطيبةُ الخِصبة المنبتةُ للزرع، الخاليةُ من الآفات المهلِكةِ له، فهذه الأرضُ لَمَّا نزل عليها الغَيث تشرَّبَت الماءَ، وأخرجت النباتَ الكثيرَ، رَطْبًا ويابسًا، وهذا النوعُ من الأرض هو مِثْلُ العالِمِ المتفقِّه في دين الله عزَّ وجلَّ، المنتفع بعلمه في صلاح نفْسه، والمعلِّم لغيره[٥١]، وهو ما أشار إليه رسولُ الله ﷺ بقوله: «فذلك مَثَلُ مَن فَقُه في دين الله ونفَعه ما بعثني اللهُ به، فعَلِم وعلَّم»، وهذا الصِّنف من الناس هم الأعْلى في الدرجة، والأرْقى في الهداية.

(٥١) انظر: «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنوويِّ (١٥/ ٤٥-٤٦).

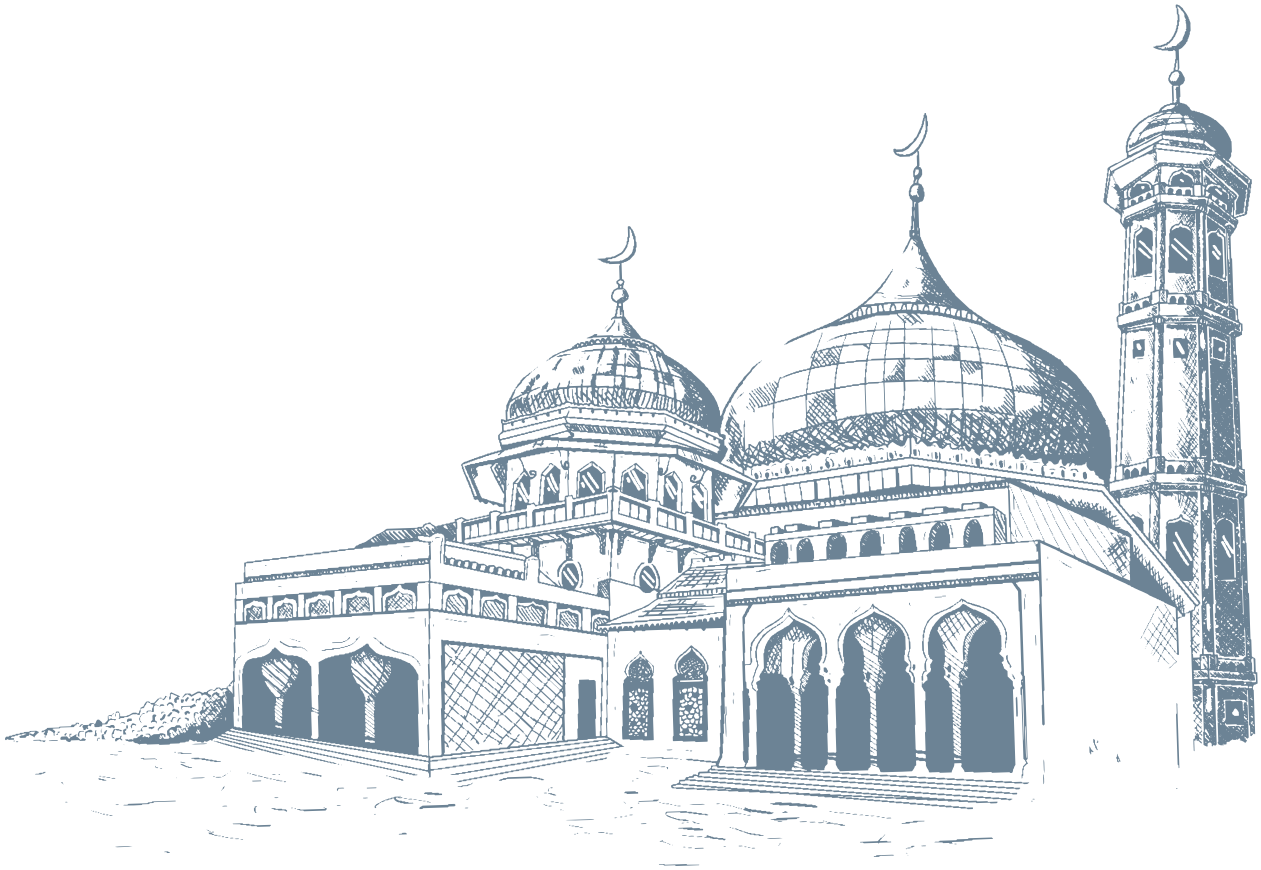

- وأما النوع الثاني من الأرض، فهي الأجادبُ، وهي الأرضُ الصُّلبةُ الممسكةُ للماء، غيرُ قابلة للزراعة والإنبات؛ ولكنها بمثابة خزَّانات للماء، تُمسكه فينتفع به الناس في الشُّرب وسُقْيا الماشية والدوابِّ والزَّرع، وقد أوجز ﷺ هذا المعنى بقوله: «وكانت منها أجادبُ، أمسكت الماءَ، فنفع اللهُ بها الناس، فشربوا وسقَوْا وزرعوا»، وهذا النوع من الأرض يُشبهُ نوعًا من الناس منحهم اللهُ القُدرةَ على الحفظ؛ ولكنها دون القُدرة على الفَهْم والعمل أيضًا.
- فالنوع الثاني من الناس لهم قلوبٌ حافظةٌ؛ لكن ليست لهم أفهامٌ ثاقبةٌ، ولا رسوخَ لهم في العقل يستنبطون به المعانيَ والأحكامَ، وليس عندهم اجتهادٌ في الطاعة والعمل به، فهم يحفظونه حتى يأتيَ طالبٌ محتاجٌ متعطِّشٌ لِما عندهم من العلم أهلٌ للنفع والانتفاع، فيأخذه منهم، فينتفعُ به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم[٥٢].

(٥٢) «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنوويِّ (١٥/ ٤٦).

نشـاط (٥) اربط وقارن:

- أي الأصناف الواردة في الحديث الذي يناسبه، قوله ﷺ: «**رُبَّ حاملِ فِقهٍ إلى مَن هو أفقهُ منه، ورُبَّ حاملِ فِقهٍ ليس بفقيهٍ**»(٥٣).

.....

.....

.....

.....

.....

- وأما النوع الثالث من الأرض، فهي «قِيعانٌ»، وهي الأرض السَّبِخةُ المُجدِبةُ التي «لا تمسِكُ ماءً ولا تُنبتُ كلأً»، فهي أرضٌ غير صالحةٍ للزراعة في ذاتها، لا تنتفعُ بما ينزلُ عليها من الغَيث بأن تُنبت زرعًا، ولا هي تنفعُ غيرَها في إمساك الماء وحفظه، فهي أسوأُ أنواع الأرض، وقد ضربها ﷺ مثلًا لفئة من الناس، قال فيهم: «مَثَلُ مَن لم يرفَعْ بذلك رأسًا، ولم يَقبَل هُدى الله الذي أُرسِلتُ به»، وهم نوعٌ من الناس ليست لهم قلوبٌ حافظةٌ، ولا أفهامٌ واعيةٌ، فإذا سمعوا العلمَ لا ينتفعون به، ولا يحفظونه لنفع غيرهم(٥٤)، فقد جاءهم الهدى والعلم من ربِّهم، فلا هم انتفَعوا به في أنفسهم، ولا هم نفَعوا غيرهم، وهؤلاء هم الكافرون والفاسقون، والباعث على عدم انتفاعهم بما جاءهم من عند الله هو الكِبرُ الذي حملهم على ردِّ ما جاءهم من عند الله وعدم قَبوله، وهذا معنى قوله ﷺ: «مَن لم يرفع بذلك رأسًا» يعني: تكبَّرَ ولم يَقبل الدين، يقال: لم يرفَعْ فلان رأسه بهذا؛ أي: لم يلتفتْ إليه من غاية تكبُّره»(٥٥).

---

(٥٣) رواه أبو داود (٣٦٦٠)، واللفظ له، والترمذيُّ (٢٦٥٦)، وقال الترمذيُّ: حديث حسن صحيح، وقال الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٦٧٦٣): صحيح.

(٥٤) (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للنوويِّ (١٥/ ٤٦).

(٥٥) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» للطِّيبيِّ (٢/ ٦١٦).

نشـاط (٦) تأمل واستخرج:

- أهنـاك توافـق بـين دلالات القـرآن وأحاديـث النبـي ﷺ، هـات مـن الحديـث مـا يوافـق قولـه تعـالى:

- ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ (الجمعة:٥)

.....

.....

نشـاط (٧) اقرأ وحلل وقارن:

قـص الله تعـالى علينـا قصـة رجـل مـن بنـي إسرائيـل فقـال:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۡۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ﴾ (الأعـراف:١٧٦)

قصـت لنـا كتـب السـيرة موقفًـا مشـابهًا لأبي بكـر الصديـق رضي الله عنـه في حـادث الإسـراء والمعـراج، قـارن بـين الموقفـين، مبينًـا الأثـر المترتـب عـلى تلقـي الخـبر وتصديقـه في كِلا الموقفـين.

موقـف أبي بكـر رضي الله عنـه حـين أخبرتـه قريـش بـما قالـه النبـي ﷺ عـن حـادث الإسراء والمعـراج		موقـف صاحـب القصـة الـواردة في آيـة ١٧٦ مـن سـورة الأعـراف مما جـاءه مـن الآيـات
الأثر المترتب عليه		الأثر المترتب عليه

نشـاط (٨) اقرأ وحلل ودوِّن:

ارجـع إلى مصـادر المعرفـة، وحلِّـل قصـة سـحرة فرعـون، مُبينًـا أثـر قبـول الهـدى والإيـمان عـلى مواقـف الإنسـان وقراراتـه، مـن خـلال قولهـم لفرعـون: (قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾) (طـه:٧٢).

.....

.....

.....

.....

نشـاط (٩) فكر واستنتج

استنتج الأسباب والدوافع التي تحُول بين الناس وبين قبول الحق من خلال قولـه تعـالى: (سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾) (الأعـراف:١٤٦).

وقولـه تعـالى: (أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾) (الجاثيـة:٢٣)

.....

.....

.....

.....

.....

ثم ختم النبيُّ ﷺ الحديثَ بقولِه: «فذلك مَثَلُ مَن فَقُه في دِين الله، ونفَعه ما بعثني الله به فعَلِم وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يرفعْ بذلك رأسًا، ولم يَقبلْ هُدى الله الذي أُرسِلْتُ به»، فذكر النبيُّ ﷺ في تقسيم الأرض ثلاثةَ أقسام، «وفي تقسيم الناس باعتبار قَبول العلم قسمَين: أحدهما مَنْ فَقُه ونَفَع الغَير، والثاني مَن لم يرفعْ به رأسًا، وإنما ذَكَره كذلك؛ لأن القسم الأول والثاني من أقسام الأرض كقسم واحد من حيث إنه يُنتَفع به، والثاني هو ما لا يُنتفَع به، وكذلك الناس قسمانِ: مَن يَقبل ومَن لا يَقبل. وهذا يوجِب جَعْل الناس في الحديث على قسمَين: مَن يُنتفَع به، ومَن لا يُنتفَع، وأما في الحقيقة، فالناس على ثلاثة أقسام: فمنهم من يَقبل من العلم بقَدْر ما يعمل به، ولم يبلغ درجة الإفادة، ومنهم مَن يَقبل ويبلِّغ، ومنهم مَن لا يَقبل».(٥٦)

نشاط (١٠) تأمل واكتب:

في الحديث ثلاثة أصناف؛ مُوفَّق مأجور، ومحروم مأزور، وصنف معْفي عنه، وكل صنف من الأصناف الثلاثة عليه واجب كي يصل الجميع إلى الكمال وتحقيق مراد الله تعالى من الخلق.

أكمل المخطط التالي وفق ما ورد في الحديث متوقعًا ما يجب على كل صنف فعله، والنتائج المترتبة على ترك ذلك الواجب.

الصنف	صفة الصنف كما فهم من الحديث	الواجب الذي يلزمه فعله	النتائج المترتبة على تركه ما وجب
الموفق المأجور			
المحروم المأزور			
المعفي عنه			

(٥٦) "عمدة القاري شرح صحيح البخاري" بدر الدين العيني (٢ / ٧٩)

٥. من توجيهات الحديث:

1. في الحَدِيث تنْبِيه على شرف الْعلم والتعليم، وَعِظَم موقعه، وشقاء من ليس من أهله، وذكر أقسام بني آدم بالنسبة إلى شَقِيِّهم وسَعِيدهم، وتقسَّم سعيدهم إلى سَابق مقرَّب، وَصَاحب يَمِين مقتصِد[٥٧].
2. الناس يحتاجون إلى العلم مثل حاجة الأرض إلى المطر، قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: «النَّاس محتاجون إلى الْعلم أكثرَ من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحْتَاج إليه في اليوم مرَّةً أو مرَّتَيْنِ، وَالعلم يُحْتَاج إليه بِعَدَد الأنفاس»[٥٨].
3. في الحديث تشبيه ما أرسل به النبيُّ ﷺ من الهدى والرشاد والعلم النافع المستمَدُّ من الكتاب والسُّنَّة بالمطر الغزير الذي يأتي الناس حالَ حاجتهم إليه.
4. في الحديث بيانُ أن كلَّ ما جاء به النبيُّ ﷺ هو وحيٌ من الله تعالى، القائل سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].
5. في الحديث بيان أنه لا يَقبَل ما أَنزَل اللهُ تعالى من الهدى والدين إلا مَن كان قلبُه نَقيًّا من الإشراك والشكِّ؛ فالتي قَبِلَت العلم والهُدى كالأرض المتعطِّشة إليه، فهي تنتفع به، فتحيا فتُنبت، فكذلك هذه القلوب البريئة من الشكِّ والشرك، المتعطِّشة إلى معالم الهدى والدين، إذا وَعَت العلم، حَيَتْ به، فعَمِلت وأنبتت بما تحيا به أرماق الناس المحتاجين إلى مثل ما كانت القلوب الواعية تحتاج إليه،
6. إقبالُ القلوب على الله، وقَبولها الهدى والعلم، والانتفاع بهما، ونفعُ الناس بذلك - هي مِنَحٌ من الله وعطاءاتٌ قبل أن تكون جِدًّا واكتسابًا، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القلوبُ أَوْعِيَةٌ فخَيْرُهَا أَوْعاها»، وقال بعض السلف « الْقُلُوبُ آنِيَةُ اللهِ في أرضه، فَأَحَبُّهَا إلى اللهِ تعالى أَرَقُّهَا وأصْفاها»[٥٩].
7. إنّ القلبَ إذا كان رقيقًا ليِّنًا، كان قبوله للعلم سهلًا يسيرًا، ورَسَخَ العلم فيه، وثَبَتَ وأثَّر، وإن كان قاسيًا غليظًا، كان قبوله للعلم صعبًا عسيرًا. ولا بدَّ مع ذلك أن يكون زكيًّا صافيًا سليمًا؛ حتى يَزْكُوَ فيه العلم ويُثمر ثمرًا طيِّبًا، وإلّا فلو قَبِل العلم وكان فيه كَدَر وخُبث، أفسد ذلك العلمَ، وكان كالدَّغَل في الزّرع، إن لم يَمنَع الحَبَّ من أن يَنبُت مَنَعه من أن يزكوَ ويَطِيب، وهذا بيِّن لأولي الأبصار[٦٠].
8. الكِبر عن الحقِّ، والإعراض عن قَبوله، شرُّ الأمراض التي تُهلك صاحبها في الدنيا

---

(٥٧) "مفتاح دار السعادة" لابن القيم)(١ / ٦٠ ، ٦١)

(٥٨) نفس المصدر .

(٥٩) "شرح صحيح البخار ي" لابن بطَّال (١ / ١٦٣)

(٦٠) "مجموع الفتاوى" (٩ / ٣١٥)

والآخرة، وتَصرِفه عن قَبول الحقِّ والانتفاع به؛ قال الله تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٦][٦١].

9 على الداعية التنويعُ في أساليب دعوته وحديثه، وتلقين المدعوِّ العلم بصورة سهلة يسيرة، واستعمال الصور البلاغية التي تُبرز المعنى وتؤكِّده، وضرب الأمثال، واستخدام القصص؛ مما يجذب انتباه المدعوِّ.

من رقيق الشعر

ما الفضلُ إلا لأهلِ العلمِ إنهمُ ... على الهُدى لمن استهدى أَدِلَّاءُ

وقيمةُ المرءِ ما قد كان يُحْسِنُهُ ... والجاهِلونَ لأهل العلمِ أعداءُ

فقمْ بعلمٍ ولا تَطلُبْ به بدلًا ... فالناسُ مَوْتى وأهلُ العلمِ أحياءُ

++++++++++++++++

كن عالِمًا في الناسِ أو متعلِّمًا ... أو سامعًا فالعلمُ ثَوْبُ فَخَارِ

من كلِّ فنٍّ خُذْ ولا تجهلْ به ... فالحُرُّ مطَّلِعٌ على الأسرارِ

وإذا فَهِمْتَ الفقهَ عشتَ مُصَدَّرًا ... في العالمينَ مُعَظَّمَ المقدارِ

(٦١) نفس المصدر.

ثالثًا: التقويم

س١: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ، مع تصويب الخطأ فيما يلي:

أ. تميز راوي الحديث أبو موسى الأشعري ﷺ بالصوت الحسن. ( )
ب. المقصود بالغيث في الحديث العشب. ( )
ت. في هذا الحديث دليل على وجوب قبول الحق. ( )
ث. في الحديث الحث على العلم والعمل بمقتضى العلم. ( )
ج. قسم الحديث ردود أفعال الناس تجاه الهدى والعلم إلى خمسة أصناف. ( )
ح. قصة سحرة فرعون له تعلق من حيث الموضوع بحديث اليوم. ( )
خ. الأرض القيعان ضُربت مثلًا للفئة التي رفضت الهدى وأعرضت عن الحق. ( )

س٢: اختر الإجابة الصحيحة فيما يلي:

أولًا: المعنى الأكثر بروزًا وارتباطًا بحديث الدرس:

١. فوائد العلم وآثاره الحميدة.
٢. بيان موقف الناس من هدي السماء.
٣. الترغيب في تعليم الناس.

ثانيًا: من أهم إرشادات الحديث:

١. الصدق في القول والإخلاص في النية.
٢. الحفاظ على الوقت واستثماره في التعلم.
٣. قبول الهدى والعمل به وإبلاغه للغير

ثالثًا: التشبه بأول صنف من الحديث يُسلِّح المؤمن بـ:

١. الشجاعة والإقدام.
٢. العلم والإيمان.
٣. المال والجاه.

رابعًا: يُطلق على نباتِ الأرض اليابس والرَّطْب:

١. الكلأ.
٢. القيعان.
٣. الأجادب.

س٣: عبِّر عن معنى الحديث النبوي بأسلوبك.

.....

.....

.....

س٤: تحدث عن أهمية طلب العلم والعمل به، وتعليمه للناس.

.....

.....

.....

س٥: دلِّل على سوء عاقبة من رد هدى الله الذي جاءه.

.....

.....

.....